آلاف شاركوا في قداس "يوم الشهيد" في ميفوق

حشود "قواتية" حملت على "الاضطهاد المبطن"

وتدابير أمنية مشدّدة أخرّت المناسبة ٣ ساعات

ريتا صفير - النهار ٢٠٠٠/٩/١٨

في اول ظهور علني بهذا الحجم، منذ حل حزب "القوات اللبنانية" عام ١٩٩٤، شارك امس نحو اربعة آلاف شخص في قداس "يوم الشهيد" الذي دعت اليه "لجنة اهالي "الشهداء" في دير سيدة ايليج في ميفوق، وسط تدابير امنية مشددة، اعاقت وصول حشود الى المكان.

وقد حمل اللقاء دلالات عدة. ففي التوقيت، كان الثاني خلال اربعة ايام بعد الذكرى الـ١٨ لاغتيال الرئيس بشير الجميل. وكما في المناسبة الاولى كان تنفيس للاحتقان زاده التشدد الامني.

ورغم ادراج التدابير الامنية في خانة حفظ الامن. بدا واضحا السعي الى ابقاء التحرك ضمن سقف.

واذا كانت المناسبة بنيت في اطارها الديني – الشعبي. في غياب اي تمثيل سياسي، علما ان اي دعوات رسمية لم توجه الى سياسيين كما قال المنظمون، الا انها خرجت عن طابعها هذا في العظة التي القيت والهتافات التي رددت واللافتات التي ارتفعت وحملت على "الاضطهاد المبطن" مدافعة عن "الايادي والنفوس المكبلة في السجون والنفي"، ومتساءلة عن "استمرار وجود ٤٠ الف جندي اجنبي". ولاقي كل ذلك ترحيبا من المشاركين ترجم تصفيقا وهتافات.

وهذا الخروج تداركته اوساط "القوات اللبنانية" بتأكيدها "ان اللقاء شعبي بحت ولا يحمل اي اشارة سياسية ولا يسعى الى استفزاز، لأن المناسبة دينية وغايتها الصلاة على ارواح الشهداء لا اكثر".

واذ لوحظ غياب السيدة ستريدا جعجع، في ظل معلومات ترددت انها كانت تنوي المشاركة الا انها لم تتمكن من بلوغ المكان، اوضحت الاوساط "ان السيدة جعجع تعتبر المناسبة اهلية بحت ولم تنو المشاركة منذ البداية". وقدرت الاوساط عدد المشاركين الذين تمكنوا من بلوغ المكان بنحو ١٠ الاف شخص.

اما، لماذا اختيار دير سيدة ايليج، مكانا للاحتفال، فلأنه يضم مدافن ٣٠٠ شهيد ووروا خلال الحرب على جبهة الشمال، عندما كان يتعذر نقل جثث الشهداء الى بلداتهم وقراهم. ووضعت على المدافن لوحة باسم ٤٢٥٧ شهيد سقطوا بدءا بجوزف ابو عاصي حتى فوزي الراسي.

ومعلوم ان الدير شكل مركزا بطريركيا حتى القرن الرابع عشر، ويضم ايقونة للسيدة العذراء تعود الى القرن العاشر وقد جرى ترميمها واعيدت الى كنيسة الدير الاسبوع الماضي.

اربع ساعات استغرقتها الرحلة الى دير سيدة ايليج، مما ادى الى ارجاء القداس الذي كان مقـــررا عنـــد الحادية عشرة والنصف ثلاث ساعات. بعد العبور راح المشاركون يهنئ بعضهم بعضا بـــــــ"اجتيـــازهم الحدود".

الحواجز الامنية "زرعت" على امتداد الطرق المؤدية الى ميفوق، مما تسبب بازدحام سير خانق علقت في "شباكه" الوفود الآتية من مختلف المناطق، ولو ان بعضها اتخذ تدابير احترازية، فقصد المكان قبـــل ٢٤ ساعة وبات ليلته في دير سيدة ميفوق والجوار.

على اوتوستراد عمشيت، بدا بلوغ المفترق المؤدي الى ميفوق شبه مستحيل، في وقت شهدت فيه الطـــرق الجبلية ازدحاماً "فريداً"، بعدما نصبت ستة حواجز امنية على مسافة تقدر بحوالـــى ٢٠ كيلومـــتراً، بيـــن المفترق المؤدي الى ضريح القديس شربل في جبيل وميفوق. وخضعت السيارات لتفتيش دقيق، وتكـــرر الامر على طريق ترتج – ميفوق. اما الجموع التي قررت التوجه سيراً على الاقدام، فخضعت للتفتيـــش ايضاً في ساحة ميفوق بعدما تولت العناصر الامنية تنظيمها صفوفاً. وشمل التفتش التدقيق في الهويات.

وارتدى شبان قمصاناً تحمل صور القديس شربل وصلباناً تتوسطها عبارة "كي تبقى اجراســـنا تقـــرع". وتولت العناصر الامنية نزع الصلبان المشطوبة من الاعناق، اضافة الى مصادرة اعلام "القوات اللبنانيـــة" وصور الدكتور سمير جعجع، مما اثار امتعاض الوافدين. وحصلت مشادات عند عدد من الحواجـــز تـــم نتيجتها توقيف اشخاص ساعات (جوزف الغريشي رحمة، طوني كيروز، جان نصار..) واغمـــي علـــى احدهم يعاني الربو. وتدخل الاب انطوان الصيفي الذي كان يتوجه الى الكنيسة للمشاركة في القداس، لحل مشكلة، فيما راح شبان يرددون: "هل نحن فلسطينيون لنلقى هذه المعاملة؟". وسأل آخـــر: "هـــل الشـــيخ صبحي الطفيلي المطلوب من العدالة يختبئ في جبيل؟ (...)".

وبين الحين والآخر ارتفعت لافتات وهتافات: "الله لبنان حكيم، وبس"، "سمير جعجع براءة"، "بشير، سمير، قضية واحدة، مسيرة واحدة، فيما دعت هتافات اخرى الى خروج الجيش السوري. وردد بعضهم انه تـــم امرار اعلام ولافتات عبر الطريق العسكرية سابقاً في القطارة.

عند الثانية والنصف بدأ الاحتفال بالذبيحة الالهية التي ترأسها الاب انطوان طربيه وعاونه الكهنة فـــادي احمر، برنار عاصي، سيمون طوق، ويونس صالح. واحيت القداس جوقة مار انطونيوس، ميفوق ويونس صالح. في غضون ذلك استمر توافد المشاركين، وكان لافتاً دخول مجموعة شبان رفعوا رايات صفـــراً كتب عليها: "اطلاق سراح الدكتور سمير جعجع" و"بشير استشهد لنبقى احياء وســـمير ســـجن لنســـتمر احراراً".

وبعد الانجيل ارتجل الاب الصيفي كلمة قبل ان يلقي عظة اعدها الاب نعمة الله يونس رئيس دير سيدة ميفوق.

وقال: "كان يوماً مشهوداً بالتضحيات الكبار حتى اقول انه استشهاد آخر. ابلغت عناصر حاجزين في ترتج انه كان من الضروري ان تعلمونا عبر الاذاعات ان القداديس والتجمعات باتت ممنوعة او محظورة، فلا يحق لاحد ان ينال من كرامتنا (تصفيق).

حريتنا مصونة. الله يحترم هذه الحرية ولا يقوى أي شخص على انتزاعها منا. ما شاهدناه اليوم هو اضطهاد مبطن (تصنيف)، وسأبذل جهدي لانقل الى المعنيين ماعانيناه اليوم بعد توقيفنا ساعات وساعات. يجب كشف ذلك ليعرف اللبنانيون والمسؤولون ولا سيما الروحيون ما آلت اليه الأوضاع".

بعدها، تلا كلمة الأب يونس وجاء فيها:

"نجتمع وإياّكم في هذا الأحد المبارك، وفي أجواء عيد ارتفاع الصليب، ذكرى استشهاد فخامة الرئيس الشيخ بشير ورفاقه، نقدّم الصلوات والقرابين والبخور راحةً لأنفس أولئك الذين استشهدوا لنبقى نحن. وقفتنا اليوم هي بعض من عرفان الجميل لمن ماتوا في سبيل ان تكون لنا الحياة. لقد أضافوا الى هذا التراب المقدّس دماء زكية جديدة ممّا أعاد الى الأذهان صور الماضي البغيض ومما رافقه من اضطهادات وآلام شهدها هذا الوادي المهيب مع البطاركة والنسّاك والرهبان القدّيسين.

شهداؤنا قدّموا أنفسهم قرابين على مذبح الوطن. قدّموا أغلى ما لديهم: دماءهم الزكية حفاظاً على كل ذرّة من تراب لبنان، فكانوا بحق رمز الفداء وشعلة النور الوهّاج على دروب الكرامة والحرية. ومن أجل ذلك كان عهدهم ومرتجاهم، ايمانهم وهدفهم، تضحيتهم واستشهادهم. واليوم، الا يجب علينا ان نتوقّف قليلاً لنطرح بعض الاسئلة المهمة؟ أين نحن من دماء هؤلاء الشهداء؟ بل أين هم؟ وأين نحن؟ وفي ضوء الجواب الذي يتردّد في نفس كلّ واحد منا يجب ان تُتخذ المواقف وتعاد الحسابات. شهداؤنا ماتوا لنحيا، فأين هي حياتنا؟ وهل الذلّ والخنوع هما حياة؟

هم، استشهدوا ليرفعوا جبين لبنان. فأين ذلك الجبين اليوم بعد مشاهد الذلّ والانبطاح على أبواب المهانة والخنوع؟ لماذا هذا الضغط والتدقيق واذلال الناس في مكان، بينما لا مراقب ولا ضابط في مكان آخر.

هم، سفكت دماؤهم لتروي شجرة أرز الحرية، فأين هي تلك الحريّة وأيدينا ونفوسنا مكبّلة في السجون؟ وإننا نتساءل مع غبطة البطريرك من أعطى مجد لبنان؟ ماذا يصنع بعد في لبنان أربعون الف جندي أجنبي؟

هم ضحّوا بكلّ غال ونفيس من أجل السيادة والاستقلال، فبالله عليكم قولوا لي أين هي تلك السيادة وأيـــن هو ذاك الاستقلال؟ وأمام كل هذا، وبعد كل هذا، أيكفينا الاستنكاف والندب والبكاء على اطـــلال واقعنـــا المرير؟ أيصحّ ان نبقى نجلد أنفسنا معتكفين منزوين على هامش الحياة والوطن؟ هنا تكمن المسألة.

أيها الأحباء، نحن أحفاد الابطال، ابناء رجال عز ومجد واقتدار. لنا في هذه الارض جـــذور تمتـــد آلاف الاعوام، ولنا تاريخ مجيد ما انفكّ يوماً يعطي الانسانية في هذا الشرق ملاحم العزّة والكرامة والشموخ. لا يظنن احد اننا ضعفاء، لنا القدرة العجيبة على الاستمرار والاستنهاض وما هانت يومـــاً ولا كلّـــت عـــبر العصور. ولنا قبل كلّ شيء وفوق كل شيء صلاة الايمان، الايمان الكبير الذي ينقـــل الجبـــال. وبـــهذا الايمان، سنكمل الرسالة المسيحيّة الحقّة في هذا الشرق المنكوب بألف عالة وصليب. لانّ التجارب أثبتـــت أننا الخميرة التي بدونها ستتحوّل هذه المنطقة صحراء قاحلة الا من الاشواك والرمال.

من هنا يجب ان يكون المنطلق. فلنستنهض الهمم ونثبّت الايمان ولنعقد الخناصر، ونشبك الايدي فنتصالح مع ربّنا وذواتنا أولاً ونحدّد الهدف الذي بدونه لا قيامة لنا، وهو الاتفاق، أقلّه على الخطوط العريضة. لان تشرذمنا أوصلنا الى ما نحن فيه ومن غير المسموح ان نعيد التجربة. تشرذمنا فهلكنا، نتّحد فنقوى، نقـــوم فيقوم لبنان. وعلى رجاء المسيح المنتصر على الموت بالقيامة نثبت رجاءنا: رجاء بالقيامـــــة المنتظـــرة وبدحرجة الحجر عن صدر لبنان. رجاء باغاثة الملهوف وبحريّة السجين وبعودة المبعديـــن والمنفييـــن. رجاء بالعمل البنّاء بيد واحدة وقلب واحد وهدف محدّد واحد. بعيداً عن الديماغوجيا والاستفراد. رجـــاء بانقاذ هذا الوطن الذي هو "أكثر من وطن. انه رسالة". كما جاء في الارشاد الرسولي. نعم، وطننا رســـالة اعطت للعالم بعض قيمه الباقية. دعاؤنا اليك يا الله، يا بحر الجود والحنان، ان تحفظ هذه الكرمـــة التـــي غرستها. ان تنظر بعين الرحمة والرضوان الى أنفس شهدائنا الراقدين في جوار هذا المعبد المقدس، والى أنفس جميع شهداء لبنان. كافىء اللهم أهلهم وذويهم الذين قدموهم قرباناً على مذبح الوطن. عوضهم بحياة الباقين، حياة مليئة بالصحة والنعمة والسلام".

ثم القى الياس الحويك كلمة باسم اهالي الشهداء تضمنت وجدانيات من وحي المناسبة وتطرق الى "الحلـــم الذي انكسر في ١٤ ايلول" (في اشارة الى اغتيال الرئيس بشير الجميل)، و"المحاصر بقضبان الحديد فـــي ظل كثرة احكام المحاكم وتبدل اسماء الحكام (...) باع حريته ليشتري الكرامة رغم كراسي السلطة التـــي عرضت عليه (...)" (في اشارة الى الدكتور جعجع). واضاف: "لم نقبل ان تكسر عظامنا خلال الحـــرب ونحن ديموقراطيون حتى العظم في السلم (...)".

&اوضح مصدر مسؤول في تيار "القوات اللبنانية" خلفيات قداس سيدة ايليج كالآتي: "ان المناسبة كـــانت مقررة منذ اشهر لتزامنها مع ذكرى استشهاد الرئيس بشير الجميل، وفي مناسبة الانتهاء من ترميم المدافن

العائدة الى كنيسة السيدة ايليج التي تضم رفات مئات الشهداء. وكانت الدعوة منذ اسابيع من ذوي الشهداء واصدقائهم للاحتفال بالذكرى. غير ان التطورات المتلاحقة منذ اسابيع والتي تزامنت مع عشية المناسبة، بدءا بالموقف الوطني والمبدئي لتيار "القوات اللبنانية" من الانتخابات النيابية (...)، وصولا الى تعالي الاصوات المطالبة بتصحيح الخلل الحاصل على المستوى الوطني، والتي وجدت نفسها في صلب الموقف القواتي، وانتهاء بانطباعات الناس عن احتمال وجود فرص لتحقيق مصالحة وطنية شاملة (...)، كل ذلك اوجد لدى الناس حاجة الى الوقوف لتظهير مواقفهم، خدمة لمصلحة الوطن (...). وسط هذه الاجواء كانت الفورة الشعبية الى ايليج وسط انتظار الساعات وقيظ التدابير الاحترازية (...)".

واكد المصدر "ان ما حدث يوم الاحد، كما يوم الخميس الفائت، يقدم مرة جديدة للمسؤولين الفرصة التاريخية لاعادة التوازن الى النظام والخروج من الانهيار واستعادة الاستقرار والعودة الى روح الوفاق الوطني (...) ان المناسبة التي كانت في الاساس والتصور يوما روحيا، باتت اليوم فرحة لاحياء روح الوطن، واول ذلك الافراج عن الدكتور سمير جعجع".